تركيب (حتى إذا) في القرآن الكريم

دراسة لغوية ، ونحوية ، ودلالية

أ.د علي رحيم هادي الحلو

كلية الطف الجامعة – قسم العلوم الاسلامية

م.د سالم جاري هدي

جامعة كربلاء– كلية العلوم الاسلامية

الكلمات المفتاحية: حتى – إذا – الزمن – الشرط – الفجاءة – الجر – الإضافة.

ملخص البحث

لقد استوقفنا تركيب (حتى إذا) في التنزيل العزيز، ونحسب أنّ فيه مزيدَ بحثٍ عمّا قال فيه العلماءُ؛ لكونه تركيبًا جمع كلمتين لكلٍّ منهما أكثر من دلالة، أو معنى، أو أثر إعرابيّ.

وهذا البحث جمَعَ الحرفَ (حتى) الذي قال فيه الفراء: (أموت و في نفسي شيءٌ من حتى)[1] ، وكذا قد اختلف العلماء في دلالته ، وعمله من عدمه.

وبعد (حتى) : "إذا" : التي يتنوّع معناها ، فمرّة هي ظرف لما يُستقبل من الزمان يتضمن معنى الشرط، ومرّة لمجرد الظرفية ، ومرّة نجده حرفًا للفجاءةِ ، أو غير ذلك .

مقدمة

شَغل الأسلوبُ القرآني العلماءَ – قديمًا وحديثًا وما زال وسيبقى – ، فتدبّروا فيه طويلاً من حيث المعاني والأحكام، والألفاظ المفردة والجمل ، والتراكيب، بل حتى الحروف، إذ أُلّفت الكتب فيها جميعًا، وما زال التأليفُ فيها، وسيبقى ما بقيت الحياة، وحتى يرثَ اللهُ الأرضَ وما فيها، لأنّ القرآنَ الكريم معينٌ لا ينضب، وبحر لُجِيٌّ لا قرارَ له، بل فيه يروق البحث، ويَطيبُ، ويحسُنُ التدبّر كلَّ حينٍ وآن .

وهذا بحث في تركيبٍ جمَعَ الحرفَ (حتى) الذي قال فيه الفراء: (أموت و في نفسي شيءٌ من حتى)[2]، وكذا قد اختلف العلماء في دلالته ، وعمله من عدمه.

وفي هذا البحث بعد المقدمة ثلاثة مباحث، الأول يعرض (حتى) في اللغة والقرآن الكريم – بإيجاز–. والمبحث الثاني سيكون في دلالات (إذا) في اللغة والقرآن الكريم.

أما المبحث الثالث فسيدرس تركيب (حتى إذا)، وكيف جاز بناء هذا التركيب؟ وما الدلالة التي يمكن أنْ نتبيّنها له في اللغة وفي القرآن الكريم من تدبّرنا للسياق الذي وردت فيه ؟

اللهَ نسألُ التوفيقَ فيما قدمناه من بيان عظمة أسلوب كتاب الله المعجز، ومنه نستَمِدُّ العون في جهدنا هذا، عسى أنْ نصل إلى نتائج نأمل أنْ تكون نافعةً، من خلال بيان روعة لغتنا العربية العريقة الأصيلة، التي شرّفها الله

تعالى بأنْ أنزل آخرَ معجزةٍ لخاتم أنبيائه بحروفها ، وهذا شرف لم تحْضَ به أيةُ لغةٍ في الكون ؛ إذ ستبقى خالدةً ما دامت الدنيا.

اللهم عليك توكلنا ، وإليك أنبنا ، أنتَ حَسبنا، وأنت مولانا، فنعم المولَى، ونِعمَ المُستعان .

المبحث الأول

(إذا) في اللغة والقرآن الكريم

"إذا" في اللغة

يذهب جمهور العلماء إلى أنّ أصل معنى (إذا) أنّها تفيد دلالة الزمان المستقبل ، وبهذه الدلالة جاء استعمالها في اللغة ، وأنّها تختصّ بالحدث المقطوع بوقوعه، أو الذي يكثر وقوعه[3]. وغالبًا ما يأتي بعدها الفعل الماضي[4]. وقد يأتي المضارع بعدها. وسيتبيّن في البحث دلالتها على الأزمنة كلّها، وذلك ما سيُفصح عنه السياق .

1 – "إذا" في اللغة العربية : أوّلاً : الاسمية: وهي التي لا تفارق الظرفية الزمانية، وتكون على نوعين :

أ – ظرف للزمان مُضَمَّنٌ معنى الشرط : قال سيبويه: (وأمّا "إذا" فلِما يستقبل من الدهر، وفيها مجازاة، وهي ظرف) [5]. وكما مرّ يَكثُر مجيءُ الفعل الماضي بعدها (فعل الشرط وجوابه)، نحو قول لقيط :

طورًا أراهم، وطورًا لا أبِينُهُم إذا تَواضَع خِدرٌ ساعةً لمَعا[6].

ونلحظ مجيء فعل الشرط بعدها مضارعًا، وجوابه ماضيًا، في قول لقيط:

ولا تكونوا كمَن قد باتَ مُكتنفًا إذا يُقالُ له افرِجْ غُمَّةً كَنَعَا[7].

وجاء بعد "إذا" فعل الشرط وجوابه ماضيين، نحو قول امرئ القيس :

إذا ما ركبنا قالَ وِلدانُ أهلنا تَعالَوا إلى أنْ يأتيَ الصَّيد نحطِبِ [8].

ونلحظ مجيء فعل الشرط بعدها ماضيًا، وجوابه مضارعًا، في قول الشنفرى:

إذا قُلتُ بعضَ القَولِ بيني وبينها تَؤُمُّ بياضَ الوُدِّ مِنِّي يَمينُها [9].

وترد "ما" مزيدةً لمعنى التأكيد بعد "إذا"، والمراد من التوكيد أنّ جملة الشرط بعدها حاصلة لا محالة، نحو ما مرّ قبلُ في بيت امرئ القيس، وفي نحو قول السموْأل :

وفَيْتُ بأدرعِ الكندِيّ إنّي إذا ما خانَ أقوامٌ وفَيتُ[10].

ويجوز أن يكون جواب شرط "إذا" فعلَ أمرٍ، وإن كان فعل الشرط ماضيًا، قال عروة بن الورد:

إذا آذاك مالُكَ فامتَهِنْهُ لجادِيهِ ، وإن قرَع المراحُ[11].

وكقول الأعشى :

ولكن أرى الدهرَ الذي هو خاتِرٌ إذا أصلحتْ كفايَ عاد فأفسدَا[12].

ويجوز أن يقع المضارع بعدها (فعل الشرط ، وجوابه) ، نحو قول أبي ذؤيب الهذلي:

والنفسُ راغبةٌ إذا رغّبتها وإذا تُرَدُّ إلى قليلِ تقنَعُ[13]

نلحظ أكثر من ميزة لـ"إذا" في هذا البيت ، فقد ورد فعل الشرط بعدها ماضيًا في (إذا رغّبتها) ، والجواب محذوف مقدر ؛ سبقه كلامٌ يدلّ عليه ، والتقدير : إذا رغّبت النفس فالنفس راغبةٌ – على رأيٍ[14]–. وورد فعلُ الثانية وجوابُها مُضارعَين، هما : تُردُّ ، وتقنعُ .

ويجيءُ الاسمُ المرفوعُ بعدها[15] ، ليكون فاعلاً لفعل الشرط المحذوفٍ المقدّر، يفسّره الفعل الذي بعد الاسم المرفوع، نحو قول الأعشَى :

ولم تسعَ للحرب سعيَ اِمرئٍ إذا بِطْنَةٌ راجَعَتْهُ سَكَن [16]

وكقول أبي ذُؤيب الهذلي :

وإذا المنيةُ أنشبَتْ أظفارَها ألفَيتَ كُلَّ تَميمةٍ لا تنفعُ[17]

ويعدّ جمهور علماء النحو "إذا" أداة شرط غير جازمة. ونَقَل سيبويه عن الخليل عِلّةَ عدم جزم "إذا" لفعل الشرط، وجوابه[18]، فقال: (لا تجزم إلا في الشعر، وسألته – عَنَى الخليل – عن (إذا) ما منعهم أن يجازوا بها؟ فقال: الفعلُ في (إذا) بمنزلته في (إذ) ، إذا قلت: أ تذكر إذا تقول ؟ فـ (إذا) فيما تستقبل بمنزلة (إذ) فيما مضى. ويُبيّن هذا أنّ (إذا) تجيء وقتًا معلومًا، ألا ترى أنك لو قلت: آتيك إذا اِحمّر البُسْرُ، كان حسنًا. ولو قلت : آتيك إنِ اِحمرّ البُسْرُ،

كان قبيحًا، و(إنْ) أبدًا مبهمة. وكذلك حروف الجزاء. و(إذا) توصَلُ بالفعل، فالفعل في (إذا) بمنزلته في (حين)، كأنك قلت: الحين الذي تأتيني فيه آتيتك فيه . وقال ذو الرّمّةِ :

تُصْغي إذا شدّها بالرَّحلِ جانحةً حتى إذا ما استوى في غرزها تَئِبُ

.. وجازوا بها في الشعر مضطرين ، شبّهوها بـ (إنْ)؛ حيث رأوها لما يستقبل، وأنّها لا بُدّ لها من جواب.. وهو اضطرار؛ وهو في الكلام خطأٌ، لكنّ الجيّد قول كعب بن زهير :

وإذا ما تشاءُ تبعثُ منها مَغرِبَ الشمسِ ناشطًا مذْعورًا)[19]

وقال سيبويه: (وزعَم الخليل أنّ إدخال "الفاء" إلى "إذا" قبيح، ولو كان إدخالُ "الفاء" على "إذا" حَسَنًا لكان الكلام بغير "الفاء" قبيحًا؛ فهذا قد استغنى عن "الفاء"، كما استغنت "الفاء" عن غيرها، فصارت "إذا" ها هنا جوابًا[20]،كما صارت "الفاء" جوابًا)[21]

وقال: ("إذا" : من حروف الابتداء)[22].وكذا قال: (ولا تضاف إلا إلى الأفعال) [23].

ب – "إذا" : ظرف محض: أي: التي استعملت في أصل معناها، فتكون دالةً على الظرف الزماني الذي وسع الحدث، فجاءت بمعنى: الزمن أو الوقت في قول لقيط؛ ولا ضرورة تُحوِجُنا للقول بحذف جواب الشرط وتقديره – هنا على رأي بعضهم– ؛ لأنّ الشاعر قصد زمن هجوع الغافل، أو وقته، أو حينونة ذلك:

(في كلِّ يومٍ يسنُّون الحرابَ لكم لا يهجعون إذا ما غافلٌ هجعا)[24].

وكذا أفادت "إذا" الدلالة على : حين أو وقت في قول عروة بن الورد؛ لأنّ المراد حصول السؤال زمن حصول العمى، أو عند حينونته، أو حال وقوعه :

وأكفي – ما علمتُ – بفضلِ علمٍ وأسألُ ذا البيانِ إذا عميتُ[25].

وكذا أفادت "إذا" معنى ظرف الزمان : وقت، أو حين في قول النابغة الذبياني :

فما الفراتُ – إذا هبّ الرياحُ له – ترمي أُواذيُّه العِبْرَين بالزَّبَدِ[26].

وأفادت "إذا" معنى ظرف الزمان: وقت، أو حين في قول النابغة الذبياني أيضًا :

إلا لمثلِك أو مَن أنت سابقه سبقَ الجَوادِ إذا استولى على الأمدِ[27].

ثانيًا : "**إذا**" **الفجائية** : وهي حرفٌ عند كثير من العلماء – وهو ما نرجّه – وتفيد معنى الفجاءة (المُفاجأة) بما يأتي بعدها. ولا تدخل إلا على الجملة الاسمية التامة الأركان، أو المحذوف منها ركنٌ. وهي التي نالت شهرة بالخلاف بين سيبويه والكسائي بقضية رفع أو نصب الاسم الثاني بعدها، وهي ما سُمِّيت وقتها: المسألة الزنبوريّة. ولا تفيد الاستقبال مثل الشرطية، بل الحال، قال سيبويه: (وتكون للشيء توافقه في حال أنت فيه) [28]. ولا تُضاف الفجائية للجملة بعدها مثل الشرطية؛ لأنها حرف، وتكون الجملة بعدها لا محل لها من الإعراب. ولا تقع الفجائية صدر الكلام مثل الشرطية. وقد جُمِعَت الفروق بين الفجائية والشرطية في الأبيات الآتية :

الفرقُ بين "إذا" للشرط والتي لفُجاءةٍ من أوجهٍ لا تُجهَلُ

طلبُ التي للشرط فعلاً بعدها وجوابها، وأتت لما يُستَقْبَل

وتُضاف للجمل التي من بعدها وتكون في صدرِ المَقالةِ أوّلُ [29].

وقال ابن هشام : (أن تكون للمفاجأة، فتختصّ بالجمل الاسمية، ولا تحتاج إلى جواب ولا تقع في الابتداء ومعناها الحال .. وهي حرف عند الأخفش؛ ويرجحه قولهم (خرجت فإذا إنّ زيدًا بالباب بكسر إنّ؛ لأنّ "إنّ" لا يعمل ما بعدها فيما قبلها. وظرف مكان عند المبرد. وظرف زمان عند الزجاج. واختار الأولَ ابن مالك، والثاني ابن عصفور، والثالث الزمخشري، وزعم أنّ عاملها فعل مقدر مشتق من لفظ المفاجأة .. ولا يعرف هذا لغيره، وإنّما ناصبها عندهم الخبر المذكور في نحو (خرجت فإذا زيدٌ جالسٌ)، أو المقدر في نحو (فإذا الأسد)، أي حاضر، وإذا قدرت أنّها الخبر فعاملها (مستقر) أو (استقر) .

وإذا قيل (خرجت فإذا الأسد) صح كونها عند المبرد خبرًا، أي: فالحضرة الأسد، ولم يصح عند الزجاج؛ لأن الزمان لا يُخبَر به عن الجثة، ولا عند الأخفش، لأن الحرف لا يخبر به، ولا عنه .. وعند النصب مثل: (خرجت فإذا زيد جالسًا) فيكون على الحالية والخبر (إذا) إن قيل بأنها مكان، وإلا فهو محذوف..

قال أبو الحسن حازم بن محمد الأنصاري القرطاجني في منظومة في النحو، واصفا "إذا" الفجائية، وحاكيًا الواقعة الزنبورية، ومنها قوله :

والعُربُ قد تحذفُ الأخبارَ بعد إذا إذا عَنَت فجأةَ الأمرِ الذي دَهَما

وربما نَصَبُوا للحالِ بعد إذا وربّما رفَعوا من بعدها ربما

فإن توالَى ضميران اكتسى بهما وجهُ الحقيقة من إشكاله غَمما

لذاك أعيَتْ على الأفهام مَسألَةٌ أهدتْ إلى سيبويهِ الحَتفَ والغُمَما

قد كانَتِ العَقرَبُ العَوجاءُ أحسَبُها قدمًا أشَدَّ مِن الزُنْبُورِ وقعَ حُما

وفي الجوابِ عليها هل "إذا هو هي"؟ أو هل "إذا هو إياها" قد اختصما

وخَطَّأَ ابنُ زيادٍ وابنُ حمزةَ في ما قال فيها أبو بِشرٍ ، وقد ظلما) [30].

الذي يترجّح عندي رأي الأخفش : أنّها حرف يفيد المفاجأة، وما سوّغ به مذهبه من علل أكّد حرفيَّتها .

2 – "إذا" في القرآن الكريم : أ – الظرفية المتضمّنة معنى الشرط :

استعمل الأسلوبُ القرآني "إذا" ظرفَ زمانٍ مُضَمَّنًا معنى الشرط، ولكنه لم يجزم فعل الشرط ولا جوابه، فتكون "إذا" مِن أدوات الشرط غير الجازمة، نحو قوله تعالى: ﴿إنّ الذين أُوتوا العِلمَ مِن قبلِه إذا يُتْلَى عليهم يخرُّون للأَذقانِ سُجَّدا﴾ **[الإسراء:107]** . وكقوله جلّ شأنُه: ﴿وإذا تُتْلَى عليهم آياتُنا بَيِّناتٍ تَعْرِفُ في وُجوهِ الذين كفروا المُنكَرَ﴾ **[الحج:72]** . نلحظ أنّ فعلي الشرط جاءا مُضارعَين غير مجزومَين، وكذا جاء فعلا الجواب؛ وهذا ما يؤكد أنّ "إذا" لا تعمل .

وأكد الدكتور فاضل السامرائي قول العلماء بمجيء الفعل الماضي مع "إذا"، فقال: (فقد وردت "إذا" في القرآن الكريم – شرطية وظرفية – في (362) اثنين وستين وثلاثمئة موضعٍ، منها (18) ثمانية عشر موضعًا فقط وردت بالفعل المضارع، والبقية وردت بالفعل الماضي، مما يؤيد مذهب النحاة) [31].

قال تبارك وتعالى: ﴿وإذا رأوا تجارةً أو لهوًا انْفَضُّوا إليها﴾ **[الجمعة:11]**. ونلحَظ فعل الشرط وجوابه جاءا ماضيين: صيغةً ودلالةً (معنًى ولفظًا)، أي: الرؤية والانفضاض حصلتا فيما مضى من الزمان. ونحو قوله عزّ شأنه: ﴿وإذا بُشِّر أحدهم بالأُنثَى ظلّ وجهُه مُسوَدًّا وهو كظيم﴾ **[النحل:58]**. وهذا يعني انخرام قاعدة: إنّها للمستقبل من الزمان في الاستعمال اللغوي والقرآني .

نعم هي تفيد المستقبل – مضمّنة معنى الشرط – ، ولكن بحسب السياق الذي يضمّها، نحو قوله تعالى: ﴿وإذا ضَرَبتُم في الأرضِ فليس عليكم جُناحٌ أنْ تُقَصِّروا

من الصلاة﴾ **[النساء:101]** .

ونلحظ مجيء "إذا" الشرطية مع الحدث المتوقع والمستمر حصوله، في الماضي، وفي الحال، وفي المستقبل، نحو قوله تعالى: ﴿يا أيُّها الذين آمنوا إذا تداينتم بدَينٍ إلى أجَلٍ مُسَمًّى فاكتبوه﴾ **[البقرة:282]**. وكذا قوله جلّت عظمتُه:

﴿وترى الأرضَ خاشعةً فإذا أنزلنا عليها الماءَ اهتزّت ورَبَت﴾ **[فصلت:39]** . ومنه قوله سبحانه: ﴿يا أيُّها النبيّ إذا طَلَّقْتُم النساءَ فطلّقوهنّ لعدَّتِهِنَّ﴾ **[الطلاق:1]** .

ونقل المرادي زعمَ بعض النحويين أنّ (إذا) ترادف (إذ)، وهما يتعاوران المواضع، فقال : (أن تكون ظرفًا لِما مضَى من الزمان واقعة موقع (إذ) ،كقوله تعالى: ﴿ولا على الذين إذا ما أتوك لِتحمِلَهم قُلتَ لا أجدُ ما أحملُكم عليه﴾ **[التوبة:92]**. وقوله جلّت حكمته : ﴿وإذا رأوا تجارةً أو لهوًا اِنفَضُّوا إليها﴾ **[الجمعة:11]**، فـ (إذا) في هذا ونحوه بمعنى (إذ) .هذا مذهب بعض النحويين ، وبه قال ابن مالك . قال في التسهيل : وربّما وقعت موقع (إذ) ،و(إذ) موقعها .

والذي صححه المغاربة أنّ (إذا) لا تقع موقع (إذ) ، ولا (إذ) موقعها ، وتأوّلوا ما أوهم ذلك) [32].

ما نقله المرادي عن بعض النحويين في وقوع (إذا) موقع (إذ)، وبالعكس قولٌ فيه نظر ، وما نقله عن المغاربة هو الصحيح ؛ إذ لا يمكن التسليم بمقولة تعاور الكلمات – ولا سيما الحروف –؛ ففي ذلك ضياعٌ لدلالة اللفظ على ما وُضِع له مِن معنًى .

ويضعف القول بوقوع (إذا) موقع (إذ)، وبالعكس، ولا بإفادتها معناها : أنّ "إذا" أداة شرط، أما "إذ" فلا تفيد الشرطية إلا باقترانها بـ "ما" بعدها. وهي – أقصد "إذا" – في الآيتين اللتين استشهد بهما المرادي شرطية .

ومِن بديع استعمالات (إذا) في القرآن الكريم ،وغريبها تكررها مع فعل شرطها اِثنَتَي عشرةَ مرةً، ثم جاء جواب الشرط لها جميعًا ، وذلك قوله سبحانه : ﴿إذا الشمسُ كُوِّرتْ ۞ وإذا النجومُ آنكَدَرَتْ ۞ وإذا الجبالُ سُيِّرتْ ۞ وإذا العِشارُ عُطِّلتْ ۞ وإذا الوحوشُ حُشِرتْ ۞ وإذا البحارُ سُجِرَتْ ۞ وإذا النفوسُ زُوِّجَتْ ۞ وإذا المَوؤُودَةُ سُئِلتْ ۞ بأيِّ ذنبٍ قُتِلتْ ۞ وإذا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ۞ وإذا السماءُ كُشِطتْ ۞ وإذا الجحيمُ سُعِّرَتْ ۞ وإذا الجنةُ أُزلِفَتْ ۞ عَلِمَت نفسٌ ما أحضَرتْ﴾ **[التكوير:1-14]** ، نلحظ أنّ تعبير: ﴿عَلِمَت نفسٌ﴾[33] جاء جوابًا لكلّ من جمل الشرط قبله كلها.

ووردت "ما" بعد "إذا الشرطية" في (11) أحد عشر موضعًا[34]، مزيدة للإبهام، أو للتوكيد، في نحو قوله تعالى : ﴿ولا يأبَ الشُّهداءُ إذا ما دُعُوا﴾ **[البقرة:282]** . وكقوله جلّ وعزّ : ﴿وإذا ما أُنزِلَت سورةٌ نظرَ بعضُهم إلى بعضٍ﴾ **[التوبة:127]** .

ب – "إذا" ظرف محض للزمان: بمعنى أنّها تفيد معنى: وقت، أو زمن، قال سيبويه : (وأمّا (إذا) فلِما يستقبل من الدهر.. وهي ظرف)[35]. وذلك نحو قول الشاعر :

ونَدمانٍ يَزيدُ الكأسَ طِيبًا سقَيتُ إذا تغَوَّرَتِ النجومُ) [36]

إنّ المعنى الذي أفادته (إذا) في البيت الدلالة على الزمن الماضي ،والذي يُوحيه السياق تجرّد (إذا) من الشرط ،وتمحضها للظرفية .

وكذا نلحظ إفادة "إذا" الظرفية الزمانية في الاستعمال القرآني في الأسلوب الذي يضمُّها، في نحو قوله تعالى: ﴿فكيف إذا جمعناهم ليومٍ لا ريبَ فيه﴾ **[آل عمران:25]** [37] . وفي قوله عظمت حكمته: ﴿إنّ الإنسانَ خُلق هَلوعًا ۞ إذا مسّه الشّرّ جزوعًا ۞ وإذا مسّه الخيرُ مَنوعًا﴾ **[المعارج:19-21]**، أفادت "إذا" الظرفية الزمانية في موضعَيها من الآيتَين المُباركَتَين[38]، ولا يمكن أنْ نتبيّن أيّ معنًى للشرط فيها.

قال المرادي: (أن تكون ظرفًا لِما يُستقبلُ من الزمان مُجرّدةً من معنى الشرط، نحو قوله تعالى: ﴿والليلِ إذا يغشى﴾**[الليل:1]**. وقوله سبحانه: ﴿والنّجمِ إذا هوى﴾ **[النجم:1]**. والماضي بعدها في معنى المستقبل، كما كان بعد المُضَمَّنة معنى الشرط.. وتكون ظرفًا لما مضَى من الزمان)[39].

الثاني مِن نَوعَيها . الحَرفِيّة: وهي التي تفيد معنى المُفاجأة ، قال سيبويه : (وتكون للشيء تُوافِقُه في حالٍ أنت فيها ، وذلك قولك : مررتُ فإذا زيدٌ قائمٌ) [40] .

وقال المرادي : (وأما (إذا) الحرفية فقسمٌ واحدٌ ،وهي الفجائية .. ولا يليها إلا جملة اِسمية .. ولا تحتاج إلى جواب وهي تستعمل للحال ..ولا تقع (إذا) الفجائية إلا في وسط الكلام .. واختلف النحويون في (إذا) الفجائية على ثلاثة أقوال : **الأول** : أنّها ظرف زمان. وهو مذهب الزجاج والرياشي، واختاره ابن طاهر ،وابن خروف، ونسب إلى المبرد، وهو ظاهر كلام سيبويه . **الثاني** : أنها ظرف مكان ، وهو مذهب المبرد والفارسي ،وابن جني ،ونسب إلى سيبويه .. **والثالث** : أنّها حرف ، وهو مذهب الكوفيين، وحكي عن الأخفش، واختاره الشلوبين في أحد قولَيه .وإليه ذهب ابن مالك .. وقد جاءت جواب (إذا) الشرطية ، كقوله تعالى : ﴿فإذا أصاب به مَن يشاءُ مِن عباده إذا هم يستبشرون﴾ **[الروم:48]**)[41] .

ولم ترد "إذا" الفجائية بعد "حتى" ، في اللغة، ولا في القرآن الكريم، ولذلك لم نتوسّع في بحثها؛ ولأنها ليست من مطلب هذا البحث.

المبحث الثاني

(حتى) في اللغة والقرآن الكريم

أوّلا: "حتى" في اللغة

حتى: حرفٌ يأتي في اللغة لمعانٍ مختلفة ذكرها له العلماء، قال سيبويه في "حتى": (حرف ابتداء، ويقطع بها الكلام، وتصرف الكلام إلى الابتداء)[42]. وكذا قال إنّها: (من حروف الابتداء . ولا تدخل على الضمير) [43].

وبحسب ما ذهب إليه العلماء في (حتى) يمكن أنْ تكون[44] : أ . حرف جرّ (وهي نوعان من حيث ما بعدها). ب . حرف عطف . ج . حرف اِبتداء .

أ . حرف جرّ : (وهي نوعان من حيث ما بعدها) ، **<u>الأول</u>** : جرّ الأسماء الظاهرة: قال سيبويه : (وأما "إلى" فمنتهًى لآبتداء الغاية ،تقول : مِن كذا إلى كذا ، وكذلك (حَتّى) ولها في الفعل نحوٌ ليس لـ "إلى" .ويقول الرجل : إنّما أنا إليك ، أي :إنّما أتيت غايتي ، ولا تكون "حتى" ههنا. فهذا أمرُ "إلى" وأصله ، وإن اِتّسعت، وهي أعمُّ في الكلام من "حتى" ، تقول: قمت إليه، فجعلته مُنتهاك من مكانك ،ولا تقول : حتّاه) [45].

وقال المُرادي: ("حتى" الجارة، ومعناها انتهاء الغاية. ومذهب البصريين أنّها جارّة بنفسها. وقال الفراء: تخفض لنيابتها عن "إلى" . وربّما أظهروا "إلى" بعدها..

نحو قول الشاعر، حيث جرّت "حتى" بنفسها ما بعدها:

(عَيَّنَت ليلةً فما زلتُ حتَّى نصفِها راجيًا فعدت يؤوسًا) [46].

وقول الآخر ، إذ جرّت "حتى" بنفسها ما بعدها :

(سقا الحيا الأرضَ حتى أمكُنٍ عُزِيَت لهم فلا زال عنها الخير مجدودا) [47].

الثاني مِن أنواع "حتى" الجارّة : هي التي تسبق الفعل المُضارع، إذ يرى كثيرٌ من العلماء – لا سيما البصريون – أنّ "حتى" حرف جرٍّ كذلك؛ إذ تكون جارّةً المصدر المؤوّل من "أن" المضمرة وجوبًا والفعل المضارع المنصوب بعدها، فتكون بمعنى "إلى أنْ"، أو ""إلا أنْ" ، نحو قول لقيط :

أذْكُوا العيون وراءَ السَّرْحِ واحترسُوا حتى تُرَى الخيلُ مِن تعدائها رُجُعا[48]

ويمكن حمل قولِ امرئ القيس – وما يُشبهه – على أنّ "حتى" حرف جرٍّ، جرّت المصدر المؤوّل من "أن" المضمرة والفعل "أبير"، الدال على الاستقبال. وقد أفادت "حتى" معنى انتهاء الغاية [49]:

واللهِ لا يذهبُ شيخي باطلاً حتى أبيرَ مالكًا وكاهِلا [50]

وقال المقنع الكندي :

ليس العطاءُ مِن الفضولِ سماحةً حتى تجودَ، وما لديك قليلُ [51]

إنّ قولَ المقنّع – وما يُشبهه – يُظهرُ أنّ "حتى" حرف جرٍّ، جرّت المصدر المؤوّل من "أن" المضمرة والفعل "تجود" بعدها الذي دلّ على الاستقبال. وقد أفادت "حتى" معنى انتهاء الغاية[52]. ويمكن أنْ تكون "حتى" – هنا – بمعنى: إلا أنْ

ثانيًا : "حتى" في القرآن الكريم

1 – حرف جر: وهي على نوعين :

النوع الأول: الجارة للاسم الظاهر :

استعمل القرآن الكريم "حتى" حرف جرٍّ كثيرًا، ولا سيما جرّه الظرف "حين"، وكان ذلك في (6) ستة مواضع، منها قوله تعالى : ﴿ثُمَّ بَدا لَهُم مِن بَعدِ ما رَأَوا الآياتِ لَيَسْجُنُنَّه حتى حينٍ﴾ **[يوسف:35]**[53]. كما جاءت "حتى" جارّةً ما ناب عن ظرف الزمان ،نحو قوله جلّت حكمته : ﴿سلامٌ هي حتى مطلعِ الفجرِ﴾ **[القدر:5]** .

واللافت لنظر المتدبّر في النصّ القرآني أنّه يلمح أنّ الظرف (حين) ورد مجرورًا كذلك بحرف الجرّ (إلى) في (7) سبعة مواضع من القرآن الكريم، قال سبحانه: ﴿ولكم في الأرض مُستَقَرٌّ ومتاعٌ إلى حينٍ﴾ **[البقرة:36]**[54]. وهذا الاستعمال يُشير إلى أنّ (إلى) و(حتى) تؤديان معنى اِنتهاء الغاية الزمانية في الاستعمال القرآني، أو على رأي قسمٍ من العلماء الذين يُجوِّزون تعاوُرَ الحروفِ بعضِها مكان بعض .

ولنقف عند أقوال العلماء في استعمال تركيب (حتى حين) لنتبيّن دلالة (حتى) ، مثلاً في قوله تبارك اِسمُه: ﴿لَيَسجُنَنَّه حتى حينٍ﴾ **[يوسف:35]** .

قال الطبري في معنى تركيب : ﴿حتى حينٍ﴾ في الآية الشريفة : (ليسجننه إلى الوقت الذي يرون فيه رأيهم)[55]. قصد دلالة "حتى" على انتهاء الغاية، بجعله "إلى" مكانها . وقال الطوسي : (فالجارّة – يعني : حتى – نحو التي في هذه الآية)[56].

ويرى جمهورُ العلماء أنّ "حتى" في تركيب (حتى حين) في هذه الآية المباركة – ومثيلاتها – حرفَ جرٍّ، وقد خفضت لفظ (حين) بعدها. وهي على هذا تُعدُّ من حروف الجرّ، بمعنى "إلى" . ولا تكون بمعنى "كي"؛ لأنّ "حتى" بمعنى "كي" تختص بدخولها على الفعل المضارع .

وجاء الفعل المضارع بعدها في القرآن الكريم نحو قوله سبحانه: ﴿وإذ قلتُم يا موسَى لن نُؤمنَ لك حتى نرَى اللهَ جهرةً﴾ **[البقرة: 55]**، بمعنى: إلى أنْ، فيكون المصدر المؤول "أن نرى" في محل جرٍّ بـ "حتى" [57].

وعلّل الفراء القراءة بالنصب في آية سورة البقرة هذه، فقال: (قرأها القُرَّاءُ بالنَّصب إلا مجاهدًا، وبعض أهل المدينة[58] ، فإنّهما رفعاها. ولها وجهان في العربية: نصب، ورفع. فأمّا النَّصب فلأنّ الفعل الذي قبلها ممّا يتطاول كالترداد. فإذا كان الفعلُ على ذلك المعنى نُصِب بعده بـ"حتى"[59] ،وهو في المعنى ماضٍ ،فإذا كان الفعلُ الذي قبل حتى لا يتطاول وهو ماضٍ رُفِع الفعل بعد "حتى" إذا كان ماضيًا .. وأنشَدني بعض العرب وهو المُفَضَّل :

مَطَوْتُ بهم حتى تكِلَّ غُزاتهم وحتى الجِيادُ ما يُقَدْنَ بأرسانِ)[60].

الخلاف بين العلماء – هنا – في نوع (حتى) في الآية الكريمة ،وفي عملها ،فهي حرف جر عند البصريين – كما مرّ – والمضارع منصوب بعدها بـ(أنْ) مضمرة ، فيكون عمل (حتى) جر المصدر المؤول من (أنْ) المضمرة والفعل المضارع بعد (حتى) . أما عند الكوفيين فهي ناصبةٌ بنفسها الفعلَ المضارع بعدها .

ب . <u>حتى حرف عطف</u> : قال سيبويه : هي (بمنزلة "الواو" و"الفاء" و"ثم"، نحو قولك: لقيتُ القومَ كلّهم حتى عبدَ الله لقيتُه . وضربت القومَ حتى زيدًا ضربت أباه ، فحتّى تجري مجرى "الواو" و"ثم" .

وهي ليست بمنزلة "أو"؛ لأنّها إنّما تكون على الكلام الذي قبلها، ولا تُبتدَأُ، وتقول: رأيت القوم حتى عبدَ الله ،وتسكت ،فإنما معناه :أنك قد رأيت عبد الله مع القوم ،كما كان: رأيت القومَ وعبدَ الله على ذلك .وكذلك : ضربت القومَ حتى زيدًا أنا ضاربهُ)[61].

وزاد سيبويه القول في "حتى"، فقال: (وقد يحسن الجرّ في هذا كلهّ، وهو عربيّ ، وذلك قولك: لقيتُ القومَ حتى عبدِ الله لقيتُه ، فإنما جاء بـ(لقيتُه) توكيداً ،بعد أن جعله غاية، كما تقول: مررتُ بزيدٍ وعبدِ اللهِ مررتُ به، كما قال الشاعر "ابن مروان النحوي" :

ألقَى الصحيفةَ كي يُخفّفَ رَحلَهُ والزادَ حتى نعلَه ألقاها

والرفع جائزٌ لما جاز في "الواو" و"ثم"، وذلك قولُك : لقيتُ القومَ حتى عبدُ اللهِ لقيتُه، جعلت "عبد الله" مبتدأ، وجعلت (لقيته) مبنيًّا عليه ، كما جاز في الآبتداء)[62].

وقال سيبويه : (وآعلم أنّ ما بعد "حتى" لا يَشْرَكُ الفعلَ الذي قبل "حتى" في موضعه ، كشركة الفعل الآخرِ الأوّلَ إذا قلت : لم أجِيءْ فأقُلْ . ولو كان ذلك لاستحال: كان سيري أمس شديدًا حتى أدخلُ ،ولكنها تجيء كما يجيء ما بعد "إذا"، وبعد حروف الآبتداء)[63]. وذكر سيبويه أنّها: (لا تجرُّ الضمائر) [64]. وقال ابن مالك:

بعضًا بـ"حتَّى" اِعطِفْ على كلٍّ، ولا يكونُ إلا غايةَ الذي تلا

يشترطُ في المعطوف بـ"حتى" أن يكون بعضًا مما قبله، وغايةً له في زيادةٍ أو نَقص، نحو : مات الناسُ حتى الأنبياءُ. و: قدم الحُجَّاجُ حتى المَشاةُ) [65] .

وقال الشاعر:

قهرناكم حتى الكُماةَ فإنّكم لَتَخشونَنا حتى بَنِينا الأصاغرِ

نلحظ أنّ لفظي "الكُماةَ" و"بنينا" جاءتا منصوبتين لعطفهما على المفعولَين قبل "حتى" .

ولم ترد (حتى) حرفَ عطفٍ في الأسلوب القرآني، أي: لم يستعملها بهذه الدلالة .

ج – (حتى) حرف ابتداء : بمعنى أنّ ما بعدها كلام جديدٌ يُبتدأ به ؛ فقد يكون بعدها جملة اسمية . لكنّ هذا لم يرد بعد (حتى) في القرآن الكريم – ، نحو قول جرير :

فما زالتِ القتلى تَمُجُّ دماءَها بدجلة حتى ماءُ دجلةَ أشكَلُ

وقد يكون بعدها جملة فعلية، فعلها مضارع مرفوع ، نحو قوله تعالى – في قراءةِ مَن رفع : ﴿وزُلزِلوا حتى يقولُ الرسولُ والذين آمنوا متى نصرُ اللهِ﴾ **[البقرة:214]** . أو جملة فعلية، فعلها ماضٍ[66] ، نحو قوله تعالى : ﴿فصبَروا على ما كُذّبُوا وأُوذُوا حتى أتاهم نَصرُنا﴾ **[الأنعام:34].**

المبحث الثالث

القسم الأول تركيب : (حتى إذا) في اللغة

القسم الثاني : (حتى إذا) في القرآن الكريم

"حتى إذا" في اللغة

ورد تركيب (حتى إذا) في اللغة – إذ جمع هذين اللّفظَين (حتى) + (إذا) –، وهذا التركيب الذي جمع بين الحرف "حتى"، الذي يفيد معنى انتهاء الغاية، وبين اسمٍ دالٍّ على الظرفية الزمانية هو "إذا"، ولمّا كان لكلٍّ من جزأي التركيب "حتى" ، و"إذا" معناه الذي يؤديه لدى استعماله في السياق الذي يضمّه، كان لزامًا أن يعطي جَمْعُ هذين الحرفَين معنًى جديدًا مقصودًا من اِختيارهما في المواطن التي يُورَدان فيها .

فمثلاً تبيَّنتُ أنّه قد تحصّلتْ دلالة انتهاء غاية الحدث في "قلب" ظهر المجنّ عقيب تحصّل حدث "قمل" القلوب، وكأنّ الشاعر أراد ترتُّب الحدثَين، وتقارب وقوعهما، أو الانتهاء من غاية حصولهما في قول الأسود بن يعفر النهشلي :

(حتى إذا قَمِلَتْ قُلوبُكم ورأيتُم أبناءَكم شَبُّوا

قلبتُم ظهرَ المِجَنِّ لنا إنّ اللئيم العاجزُ الخبّ) [67]

وكذا جاء "الإيداء" : الانتهاء أو الموت غايةً للانتهاء في قول بشامة بن عمرو :

(كأنّ أوْبَ ذراعَيها إذا نَجَدَت وأَحْدَرَ الظِلَّ في أعطافِه الشَّجَرُ

أوبُ ذِراعَي لَجُوجٍ شبَّ واحِدُها حتى إذا ما انتَهَى أودَى به القَدَرُ) [68]

وجاء تركيب "حتى إذا" ليُفصِح عن معنى تحقق جواب شرط "إذا"، وهو الإهواء، أي: الهجوم والانقضاض ، الذي كان غاية ما انتهى إليه القانصُ في قول النابغة الذبياني:

(حتى إذا ما انْجَلتْ ظلماءُ ليلتِه وأسفرَ الصُّبحُ عنه أيّ إسفارِ

أهوى له قانِصٌ يسعَى بأكْلُبِه عاري الأشاجِعِ من قُنّاصِ أنحارِ) [69]

وكذا جاء "نسيان" الأمانة ليكون غايةً مُنتهًى عندها في قول الراعي النميري:

(حتى إذا لم يتركوا لَعِظامه لحمًا ،ولا لفُؤاده معقولا

نسِي الأمانةَ مِن مَخافةِ لُقَّحٍ شُمُسٍ تَرَكْنَ بِضَبْعِه مجزولا)[70].

وفي قول ذي الرّمة :

(تُصْغي إذا شدّها بالرَّحلِ جانحةً حتى إذا ما استوى في غرزها تَئِبُ) [71]

نتَبيّنُ دلالةَ بلوغ غاية الحدث في جواب شرط "إذا"، أي: تحصّل "الوأبُ" ومعناه: الاستعداد والتهيُّؤ للوَثْب، بتثبيت السنابك، وركزها وقت استواء غرزها – قصد الخيل – المُهيّأة لغايةٍ، ومُعدّة لها.

فتكون دلالةُ تركيب "حتى إذا" مُتحصّلةً من دلالةِ الكلمتَين كلتيهما . ولا يضيرُ أنْ نعرب

"حتى" حرف جرٍّ – كما ذهب إليه بعض العلماء هنا –، أو نعربها: حرف ابتداء (استئناف). وكذا "إذا" أداة شرط أو ظرفًا محضًا للزمان؛ لأنّ الدلالة التي ذهبنا إليها تأتّت من السياق الذي ضمّهما .

"حتى إذا" في القرآن الكريم

استعمل التنزيل الحكيم تركيب (حتى إذا) في (42) اِثنَين وأربعين موضعًا[72] . وأول موضع من القرآن الكريم جاء فيه هذا التركيب هو في قوله تعالى : ﴿ولقد صَدَقكُم اللهُ وعدَه إذ تُحِسُّونهم بإذنه حتى إذا فشلتُم وتنازعتُم في الأمر وعَصَيتُم مِن بعدِ ما أراكم ما تُحِبُّون منكُم مَن يُريد الدُّنيا ومِنكم مَن يُريدُ الآخرة﴾ **[آل عمران:152]** .

قال الفراء : (وقوله: ﴿حتى إذا فشلتُم﴾ يُقال : إنّه مُقَدّم ومؤخر، معناه: "إذا تنازعتُم في الأمر فشِلتُم". فهذه "الواو" معناها السّقوط) [73].

قال الطوسي: (فإن قيل: أين جوابُ ﴿حتى إذا﴾؟ قلنا : فيه قولان: أحدهما: أنّه محذوف ، وتقديره: امتُحِنتُم . والآخر: على زيادة "الواو"، والتقديم والتأخير، وتقديره: حتى إذا تنازعتُم في الأمر فشلتُم. وهو قول الفراء)[74] .

وتوسّع الرازي في المراد من تركيب ﴿حتى إذا﴾، وما علاقته المعنوية والأسلوبية بالنص الذي ضمّه ؟ فقال : (لقائل أن يقول : ظاهر قوله ﴿حتى إذا فشلتُم﴾ بمنزلة الشرط ، ولا بدّ له من الجواب ،فأين الجواب ؟

وآعلم أنّ للعلماء هنا طريقين ،**الأول** : أنّ هذا ليس بشرط ،بل المعنى : ولقد صَدَقكم اللهُ وعده ،حتى إذا فشلتُم ،أي: قد نصرَكم إلى أن كان منكم الفشل والتنازع، لأنّه تعالى كان إنّما وعدهم بالنصرةِ بشرط التقوَى ، والصبر على الطاعة ،فلما فشلوا ،وعصوا اِنتَهَى النصرُ ،وعلى هذا القول تكون كلمة (حتى) غاية ،بمعنى (إلى) ، فيكون معنى قوله ﴿حتى إذا﴾ : إلى أنْ، أو: إلى حين .

الطريق الثاني : أن يساعد على أنّ قوله : ﴿حتى إذا فشلتُم﴾ شرط ،وعلى هذا القول اِختلفوا في الجواب على وجوه، **الأول** : وهو قول البصريين : أنّ جوابه محذوف ، والتقدير : حتى إذا فشلتُم وتنازعتم في الأمر ، وعصيتُم من بعد ما أراكم ما تُحِبّون منعكم اللهُ نصرَه ؛ وإنّما حسن حذف هذا الجواب لدلالة قوله سبحانه : ﴿ولقد صَدَقكم اللهُ وعدَه﴾ عليه ،ونظائره في القرآن كثيرة.. **والوجه الثاني** : وهو مذهب الكوفيين، واِختيار الفراء : أنّ جوابه هو قوله: ﴿وعصيتُم﴾ ،و(الواو) زائدة ،كما قال سبحانه: ﴿فلما أسلما وتلّه للجبين ۞ وناديناه﴾ **[الصافات: 103-104]**، والمعنى: ناديناه – كذا ههنا– الفشل والتنازع صار موجبًا للعصيان، فكان التقدير: حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر عصيتم، فـ(الواو) زائدة . وبعض مَن نصر هذا القول زعم أنّ مِن مذهب العرب إدخال (الواو) في جواب (حتى إذا)، بدليل قوله تعالى : ﴿حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابُها وقال لهكم خزنتها﴾ ، والتقدير : حتى إذا جاؤوها فتحت لهم أبوابُها. ومذهب البصريين أنّهم لا يُجيزون زيادة (الواو) .

الوجه الثالث : أن يُقال : تقدير الآية : حتى إذا فشلتُم وتنازعتُم في الأمر، وعصيتُم مِن بعد ما أراكم ما تُحِبّون صرتُم فريقين : منكم مَن يُريدُ الدُّنيا، ومنكم مَن يُريدُ الآخرة .فالجواب هو قوله :صرتُم فريقَين ،إلا أنّه أُسقِط؟ لأنّ قوله عزّ وجلّ : ﴿منكم مَن يُريدُ الدُّنيا ومنكم مَن يُريدُ الآخرة﴾ يفيد فائدته، ويُؤدّي معناه؛ لأنّ كلمة (مِن) للتبعيض؛ فهي تفيد هذا الانقسام، وهذا احتمالٌ خَطَر ببالي .

الوجه الرابع : قال أبو مسلم : جواب قوله عزّ شأنُه : ﴿حتى إذا فشلتُم﴾ هو قوله تبارك ذِكْرُه : ﴿صَرَفَكم عنهم﴾، والتقدير : حتى إذا فشلتُم وكذا وكذا صَرَفَكم عنهم لِيَبتَلِيَكم ،وكلمة (ثم) ههنا كالساقطة ،وهذا الوجه في غاية البعد – والله أعلم –)[75].

وقال العكبري : (حتى: يتعلّق بفعل محذوف تقديره : إلى وقت فشلكم، والصحيح: أنّها لا تتعلق في مثل هذا بشيء، وأنّها ليست حرف جرّ، بل هي حرف تدخل على الجملة بمعنى الغاية، كما تدخل "الفاء" و"الواو" على الجمل، وجواب "إذا" محذوف،

وتقديره : أن أمركم، ونحو ذلك)[76].

لقد كان جلّ اهتمام الرازي – ومَن سبقه في بحث تركيب "حتى إذا" في هذه الآية وغيرها – هو العامل، أي: الأثر الإعرابي لطرفَي التركيب، وكذلك العامل فيهما، ولا سيما في "إذا"، وجاء معنى "حتى إذا" عرضًا، وليس وَكْدًا له في البحث، وعند غيره من العلماء.

نتبيّن الآتي عند العودة إلى قوله تعالى: ﴿حتى إذا فشلتُم﴾ **[آل عمران:152]** :

1- عدّ العلماء "حتى" حرفًا أفاد معنى الغاية ، أو حرفَ جر أفاد معنى الغاية. و"إذا" ظرفًا مضمنًا الشرط، أو ظرفًا محضًا، بمعنى : وقت [77]، والذين عدُّوا "إذا" ظرفًا مُضَمَّنًا الشرط راحوا يقدرون لها جوابًا، فأثقلوا الأسلوب بتقديراتهم، بل إنّ بعضًا من تلك التقديرات أفقدت النص قوة أسلوبه، وجمال صياغته.

2- إنّ سياق الآية المباركة سياقٌ إخباريّ واضح، ولم يَرِد فيه اشتراطُ حصولِ أمرٍ بوُقوع آخر قبله ، ولا تَرابُطَ بين أمرين – بهذا المعنى – في الآية الشريفة ؛ وعلى هذا يكون قول مَن ذهب إلى شرطية "إذا" في وهْمٍ وسَهوٍ كبيرين .

3- قصد السياق – والله أعلم – من تركيب ﴿حتى إذا﴾ الإخبار بأن الله سبحانه وتعالى قد صدقهم وعدَه ، لما جَرى لهم بإذنه سبحانه، وتخبر الآية الكريمة أنّهم بدأوا في وقت حَلّوا فيه ضعافًا متنازعين، على الرغم مِن النصر الذي أراهموه أوّل الأُمر.

4- لم نلمح كلامًا قبل تقدم "إذا" الشرطية – بحسب رأي القائلين بالشرط – يصلح أن يكون جوابًا للشرط المزعوم في ﴿حتى إذا﴾ ؛ كي نسوّغ حذفه، و نقدّره منه ، وكذا الجمل التي تلت تركيب ﴿حتى إذا﴾ لا توحي بصلاحية جعلها جوابًا للشرط .

5- الذي نذهب إليه في توجيه معنى جزأي التركيب هو أنّ "حتى" حرف معنًى ، أفاد دلالة انتهاء الغاية، وذلك بتحقق بلوغ نهاية الأمر بفشلهم .و"إذا" ظرف محضٌ بمعنى وقت حصول الفشل، أو بلوغ غاية الحدث ووقته بفشلهم – والله أعلم – .

وكذا اختلفوا في دلالة تركيب ﴿حتى إذا﴾ في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ **[التوبة:118]** .

قال الرازي في تركيب ﴿حتى إذا﴾ – هنا –: (اعلم أنّه لا بدّ مِن إضمار، والتقدير: حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ تَابَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ. فما الفائدة في هذا التكرير ؟

قلنا: هذا التكرير حسن للتأكيد، كما أن السلطان إذا أراد أن يُبالغ في تقرير العفو لبعض عبيده يقول: عفوت عنك، ثم عفوت عنك) [78].

وأعاد أبو حيان قول الرازي المار قبلُ، ولكنه ذكر احتمال أن تكون "إذا" مجرد ظرف، فقال: (ودعوى أن "ثُمّ" زائدة، وجواب "إذا" ما بعد "ثُمّ"، بعيدٌ جدًّا، وغير ثابت مِن لسان العرب زيادة "ثُمّ". ومَن زعم أنّ "إذا" بعد "حتى" قد تُجرّد مِن الشرط، وتبقَى لمجرّد الوقت، فلا تحتاج إلى جواب، بل تكون غاية للفعل الذي قبلها، وهو قوله (خلفوا)، أي: خلفوا إلى هذا الوقت، ثم تاب عليهم)[79].

قال الآلوسي في ذلك: (إنّه غاية للتخفيف، بمعنى: تأخير الأمر، أي: آخر أمرهم إلى أن ضاقت عليهم الأرض)[80].

الذي يبدو أنّ علماء التفسير مأسورون بما أُسر به علماء اللغة بِشأن العامل، فهم –

هنا مثلا – أخضعوا النص لقواعد قُعِّدَت، وجُعِلت حكمًا مطلقًا، وكأنهم لا يفكرون بالنص وسياقه الذي قد يخالف – أحيانًا – ما قَعَّدوه . فهنا هم يلوون النصّ ليًّا – وإن خسر روعته والذائقة الأسلوبية – لأجل تطبيق قاعدة تقضي بتضَمّن "إذا" معنى الشرط ، ولذلك قدّروا جوابها من جملة موجودة هي في أصل النص، وبهذا يضيعون سلاسة التعبير ورونقه، وإيجازه في تقديم المعنى .

والذي يترجّح أنّ "حتى" أفادت دلالة انتهاء الغاية على الوجهين المحتملين – حرف جر أو حرف ابتداء –. وأنّ "إذا" ظرف زمان بمعنى: حين، أو وقت، ولا مُسوّغ لتضمينه الشرطية؛ بدلالة السياق، والمعنى المفهوم من الآية الكريمة؛ إذ لا يصل إلى تفكير المُتلَقِّي أيّ شرط وجزاء في التعبير .

واختلف العلماء – أيضًا – في دلالة تركيب "حتى إذا" في قوله جلّت عظمتُه: ﴿حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم مِن كلّ حَدَبٍ ينسِلون۞ واقترب الوعدُ الحقُّ فإذا هي شاخصةٌ أبصارُ الذين كفروا﴾ **[الأنبياء:96-97]** .

قال الفراء بزيادة "الواو" – أيضًا – في الآية المار ذكرها؛ ليصح ما بعدها أن يكون جواب الشرط، فقال: (قال الله تبارك وتعالى : ﴿حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم مِن كلّ حَدَبٍ ينسِلون﴾، ثم قال : ﴿واقترب الوعدُ الحقُّ﴾، معناه: اقترب)[81].

وتحدّث النحاس في "إذا" دون "حتى"، فقال: (فأمّا في جواب "إذا" ففيه ثلاثة أقوال، قال الكسائي والفراء: .. اقترب الوعد الحق. والواو عندهما زائدة .. وأجاز الكسائي أن يكون جواب "إذا" ﴿فإذا هي شاخصةٌ﴾. والقول الثالث: أنّ المعنى ﴿ياويلنا﴾، ثم حذف : قالوا، وهذا قول أبي إسحاق، وهو قولٌ حَسَنٌ.. وحذفُ القول كثير) [82].

وقال الزمخشري : (فإن قلت: بمَ تعلَّقت ﴿حتى﴾ واقعة غاية لـه. وأيّ الثلاث هي ؟ قلت : هي التي متعلقة بـ"حرام" ، وهي غاية له؛ لأنّ امتناع رجوعهم لا يزول حتى تقوم الساعة. وهي ﴿حتى﴾ التي يُحكَى الكلام بعدها. والكلام المحكي:

الجملة من الشرط والجزاء، أعني "إذا" وما في حيزها) [83].

الذي يترجّح أنّ "حتى" حرف غاية، لا عمل إعرابيَّ لـه فيما بعده ، وهو قول الزمخشري، وقد مرّ. أما "إذا" فظرف زمان محض، ولا يصح تضمينه الشرطية هنا، وهو رأي قسم من العلماء، كما مرّ ؛ لأنّ السياق بصدد سرد أحداث وأخبار، وأحوال لفئة من الذين تولّوا عن طاعة الله، وليس بصدد ترتّب أمرٍ أو حدثٍ على آخر، ولا يريد بيان نتيجة قد ترتَّبت على سابقتها، ولا أنّ هناك جواب شرط جاء نتيجةً لحدث سبق، ولا جاء جزاء لما سبقه .

ونجد الاختلاف – أيضًا – في دلالة تركيب ﴿حتى إذا﴾، في قوله جلّت عظمتُه: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر:71]. وقال سبحانه: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر:73] .

قال النحاس في تركيب ﴿حتى إذا﴾ في الآيتين: (﴿حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ جواب "إذا" قصد "فتحت". وفي قصة أهل الجنة قصد آية:73 قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ بـ"الواو"، فالكوفيون يقولون: الواو زائدة. عند البصريين؛ لأنّها تفيد معنى العطف – ههنا – . والجواب محذوف . قال محمد بن يزيد: أي : سعدوا. وحذف الجواب بليغ في كلام العرب. فأمّا الحكمة في إثبات "الواو"، في الثاني، وحذفها مِن الأول فقد تكلم فيه بعض أهل العلم ، يقول : لا أعلم أنّه سبقه إليه أحدٌ، وهو أنّه قال: لمّا قال الله جلّ وعزّ في أهل النار: ﴿حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ دلّ بهذا على أنّها كانت مُغلقة. ولمّا قال في أهل الجنّة: ﴿حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾، دلّ بهذا على أنّها كانت مُفتّحة قبل أن يَجيؤوها) [84].

وقال الزمخشري في الآية الثانية: (﴿حتى﴾ هي التي تُحكَى بعدها الجُمل، والجملة المحكية بعدها هي الشرطية، إلا أنّ جزاءها محذوف؛ وإنّما حذف لأنّه في صفة ثواب أهل الجنة، فدلّ بحذفه على أنّه شيء لا يُحيط به الوصف، وحق موقعه بعد ﴿خالدين﴾. وقيل : حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها، أي: مع فتح أبوابها. وقيل: أبواب جهنّم لا تنفتح إلا عند دخول أهلها فيها. وأما أبواب الجنة فمتقدّم فتحها، بدليل قوله تعالى: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الأَبْوَابُ﴾ [ص:50]؛ فلذلك جيء بـ"الواو"، كأنّه قيل: حتى إذا جاؤوها، وقد فتحت أبوابها) [85].

وقال عالم سبيط النيلي في التركيب في الآيتين: (فإنّ هذين التركيبين لا يختلفان في شيء، لا في الألفاظ ولا في الترتيب إلا بحرف "الواو" في المركَّب "فُتحت" و"وفتحت".

أدّى غياب حرف "الواو" في التركيب الأول إلى انفصالٍ بين المجيء وفتح الأبواب، كما لو كان يتوجّب عليهم ألاّ يجيء أحدٌ منهم، وأصبح فتحُ الأبواب اضطراريًّا حتّمه مجيئُهم. أما الآية الثانية فإنّ هذا التعاطف بين مجيئهم وفتح الأبواب بهذا الحرف يجعل مِن فتح الأبواب أمرًا متّصلاً بالمجيء، وكأنّ مجيئهم كان منتَظَرًا.

ومِن غير الحاجة للرجوع لمواضع التركيبين تُمَكِّنُ هذه "الواو" السامعَ مِن التيقّن أنّ التركيب الثاني "وفتحت" لا بدّ أن يكون لأهل الجنة، وأنّ التركيب الأوّل لا بدّ أن يكون لأهل النار؛ لأنّ هذا الحرف "الواو" هو الفارق الوحيد بين ألفاظ وترتيب العبارتَين ممّا يفهم منه محبّة مجيء المجموعة الثانية، وكراهية مجيء المجموعة الأولى) [86].

الذي يترجّح في الآية الأولى (﴿حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ قولُ النحاس في أنّ "إذا" شرطية، وجوابها: ﴿فتحت﴾؛ لأنّ مجيء الكافرين كان في سياق عقاب بإدخالهم جهنم، ومكان العقاب يفترض القفل المحكم، ولذلك تطلب فتحها لإدخالهم. فالشرط في "إذا" على بابه . و"حتى" حرف ابتداء أفاد انتهاء الغاية .

وأمّا الآية الثانية: ﴿حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾، فالذي يترجّح أنّ "حتى" حرف ابتداء – وهو رأي الزمخشري، وقد مرّ –. و"إذا" ظرف محض للزمان، فيكون تقدير المعنى: فحان وقت جيئتهم. ولا مُسوّغ لتقدير "حتى" حرف جر. ولا مُسوّغ لتضمين "إذا" الشرط؛ إذ لم يترتّب على جيئة المُتقين شيءٌ، ولا كانت جيئتهم مشروطة بالجزاء، ولا منتظرة إياه في حال قدومهم. وسياق الآية الكريمة سياق إخبار في الذين اتقوا – والله أعلم – .

عرضنا لآيات لم يكن جواب ﴿حتى إذا﴾ فيهنّ ظاهرًا، بل قِيل بتقديره، وناقشنا ذلك، وقدّمنا آراءَ العلماء فيها، ثُمّ ذكرنا ما ترجّح لنا من تلكم الآراء، وكذلك زدنا شيئًا من التحليل، وخالفنا قسمًا من الآراء، ونزعم أننا زدنا آراء بما وفقنا الله إليه من فضله وتسديده.

أما بقية الموارد التي ورد فيها تركيب ﴿حتى إذا﴾ فأنّها لها جواب، – بحسب رأي الجمهور– ولكنّنا قد نوافق تلكم الأقوال، وقد نخالفها، فمثلا قوله جلّ وعزّ: ﴿وَابْتَلُواْ الْيَتَامَى حَتَّىَ إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ **[النساء:6]** .

قال الزمخشري: (فإن قلت: كيف نظم هذا الكلام ؟ قلت: ﴿حَتَّىَ﴾ إلى ﴿فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ جعل غايةً للابتلاء، وهي ﴿حَتَّى﴾، التي تقع بعدها الجملُ.. والجملة الواقعة بعدها جملة شرطية؛ لأنّ "إذا" متضمنة معنى

الشرط، وفعل الشرط ﴿بَلَغُواْ النِّكَاحَ﴾، وقوله: ﴿فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ جملة مِن شرط وجزاء واقعة جوابًا للشرط الأول الذي هو: ﴿إذا بَلَغُواْ النِّكَاحَ﴾، فكأنّه قيل: وابتلوا اليتامَى إلى وقت بلوغهم، فاستحقاقهم دفعُ أموالهم إليهم بشرط إيناس الرشد منهم) [87].

الغريب في تخريج الشرط – في هذه الآية الكريمة –، والذي لا نراه موفّقًا؛ ذلك أن جعلهم قوله تعالى: ﴿فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ جزاءً لـ"إذا"؛ لأنّ الآية المباركة قصدت تعيين زمن – وقت – دفع أموال اليتامى إليهم. ولذلك لا يمكن جعل جملة ﴿فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ ضمن الجواب، بل هي جملة مُكمّلة لجملة الشرط التي اعتمدت أمرين لدفع الأموال، **الأول**: بلوغ سن النكاح ، و**الثاني**: اكتمال العقل – التصرف المعقول – أساسًا ليترتّب عليهما دفع أموال اليتامى إليهم. فتكون جملة الطلب ﴿فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ – على وفق المعنى المراد هي الجزاء – الجواب – لـ"إذا"، وسدّت مسدّ جواب الشرط الثاني ﴿فَإِنْ آنَسْتُم﴾ .

أما "حتى" فهي حرف جرّ، وقد أفادت الغاية، بجعل البلوغ وإيناس الرشد غاية لإيتاء الأموال لليتامَى . والقول إنّ "حتى" ابتداءٌ لا يستقيم وسياق النصّ الكريم الذي يريد معنى: إلى زمن البلوغ، أو إلى وقته، أو إلى عمر محدد لليتيم، وصواب تصرفه .

ووردت "ما" بعد تركيب "حتى إذا" في قوله جلّ في عُلاه: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاء اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۞ حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ **[فصلت:19–20]**، قال الزمخشري : (فإن قلت: "ما" في قوله تعالى : ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا﴾ ما هي ؟ قلت: مزيدة للتأكيد، ومعنى التأكيد فيها: أنّ وقت مجيئهم النار لا محالة أن يكون وقت الشهادة عليهم، ولا وجه لأن يخلو منها. ومثله قوله تعالى: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُم بِهِ﴾ **[يونس:51]**، أي: لا بدّ لوقت وقوعه مِن أن يكون وقت إيمانهم به شهادة الجلود بالملامسة للحرام، وما أشبه ذلك مما يفضي إليها من المُحرّمات) [88].

وأعاد أبو حيان قول الزمخشري – المارّ قبلُ –، وقال: (ولا أدري أنّ معنى زيادة "ما" بعد "إذا" لتوكيدٍ فيها، ولو كان التركيب بغير ما كان بلا شكٍّ حصول الشرط مِن غير تأخّر؛ لأنّ أداة الشرط ظرف، فالشهادة واقعة فيه لا محالة) [89].

وقد برع محيي الدين الدرويش في بيان دلالة: ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ﴾

فقال : ("حتى": حرف غاية. و"إذا": ظرف لما يستقبل من الزمن، متضمن الشرط معنى، متعلق بجوابه، وهو "شهد". و"ما" زائدة لتأكيد الشهادة، و"ما" المزيدة تؤكد معنى ما اتصلت به في النسبة التي تعلقت به. وهنا أكدت

ظرفية الوقت المحدد للشهادة، وجملة ﴿جَاؤُوهَا﴾ في محل جرٍّ بإضافة الظرف إليها. وجملة ﴿شَهِد﴾ لا محل لها[90])[91].

يترجّح في تركيب ﴿حَتَّى إِذَا ما﴾ أنّ "حتى" حرف يفيد الغاية، ولك بعدُ عدّه حرف ابتداء – وهو مذهب الزمخشري ومَن تبعه – ، أو حرف جرّ . و"إذا" ظرف للمستقبل من الزمان متضمّن الشرط ؛ وكان فعل الشرط : ﴿جَاؤُوهَا﴾، وجوابه: ﴿شَهِد﴾. و"ما" حرف مزيد لتوكيد ظرفية الوقت المحدد للشهادة .

إفادة تركيب (حتى إذا) دلالة (فلمّا)

لفت انتباهنا مقاربةٌ بين معنى(حتى إذا) ودلالة (فلمّا)، من خلال تتبعنا استعمالهما في السياق القرآني الكريم، وذلك: أ – إنّ كُلاً منهما يأتي بعد حدثٍ مُعيَّنٍ، أو أمرٍ، أو شأنٍ ويُفيدان معنًى زمانيًّا، مثل: "الحين" نحو قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِ وَأَجْمَعُواْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ﴾ **[يوسف:15]**، بمعنى: وحين ذهبوا به.. وقوله تعالى: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾ **[الكهف:71]**، بمعنى: وحين ركبا في السفينة..

ب – إنّ الحدث الذي وقع قبل "فلمّا"، والحدث الذي وقع بعدها يدلّ على قِصَر المُدّة بينهما، نحو: ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ **[الأنعام:77]** . بخلاف "حتى إذا" فإنّ المُدّة بين الحدث الذي وقع قبلها، والحدث الذي وقع بعدها ليست بالقصيرة، وربّما يصحب ذلك المشقة، نحو: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ **[الكهف:90]** .

ج – الجملة بعدهما مُركّبة مما يُشبه الجملة الشرطية، نحو قوله عزّ وجلّ ﴿فَلَمَّا أَن جَاء الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾ **[يوسف:96]**. وقوله جلّ شأنه: ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا

غُلامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ **[الكهف:74]** .

د – إذا حذفنا "الفاء" من "فلمّا"، أو جعلنا "الواو" مكانها لا يختلف المعنى اختلافًا ملحوظًا، قال عزّ ذِكرُه: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ **[يوسف:94]**.

غير أنّ حذف "حتى" عن "إذا" يُغيّر الدلالة، وتخلص "إذا" إلى الدلالة على زمن المستقبل، نحو قوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ **[التكوير:1]** .

هـ – تدلّ "حتى" ،و"الفاء" في التركيبين على كلام محذوف يدلّ عليه السياق، نحو قوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا﴾ **[يوسف:80]**، أي: حاولوا مع العزيز بوسائل شتى لإقناعه بإطلاق سراح أخيهم .. ونحو قوله جلّ وعزّ: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ **[الكهف:77]**، أي: سارا حتى أتيا ، بدلالة ما قبلها ﴿فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا..﴾ .

نتائــج البحــث

بعد تحليلنا للنصوص الأدبية الشعرية، وبعدها النصوص القرآنية التي تضمّنت تركيب (حتى إذا) تبيّنتْ لنا نتائجُ نجملها بالآتي :

1 – إنّ تركيب (حتى إذا) تركيبٌ له دلالته المتأتية من جمع أداتيه، ومن السياق الذي يضمّه. وقد أجمع الجمهور على أنّ (حتى) حرفٌ يفيد معنى : الغاية سواءً أعربناه حرف جرّ ، أم حرف ابتداء. و(إذا) ظرف للزمان تضمّن معنى الشرط، أم تجرّد للظرفية المحضة.

2 – لا يمكن الأخذ بما قُعِّد للأداتين "حتى" و"إذا" مفردتَين أو جاءتا في تركيب واحد على إطلاق تلكم القواعد، لأنّ دلالة الأدوات اللغوية والنحوية –أحيانًا – تكتسب دلالة أخرى عند ضمّ بعضِها إلى بعضٍ، فضلاً عن تأثر معانيها بالسياق الذي ترد فيه، فتكون ثمة زيادةٌ في دلالاتها .

3 – لم يبحث العلماءُ – القدماء والمحدثون – تركيب "حتى إذا" في اللغة ولا في الأسلوب القرآني – بحسب اطلاعنا – وعليه لم يقل أحد : ماذا قدَّم هذا التركيبُ من دلالات في السياق الذي تَضَمّنه، بل اكتفوا بذكر دلالته كل جزءٍ منهما عند استعماله في التعبير، مثلما كان مستعملاً وحدَه .

4. أكد البحث دلالة "إذا" الاسمية على الظرفية سواءً تَضَمَّنَت معنى الشرط أم لم تَتَضَمَّنه، أي جاءَت لمجرد الدلالة على الوقت أو الحين أو الزمن .

5 – بيّنَ البحثُ أنّ دلالة "إذا" الظرفية لا تنحصر في زمن الاستقبال – بحسب ما قعّده النُّحاة –، بل قد تكون مفيدة زمن الماضي، أو الحال، كما مرّ تفصيله في البحث.

6 – أكد البحث أنّ النوع الثاني لـ"إذا" هو أنّها حرف يفيد المفاجأة، ويأتي بعده جملة اسمية، وأحيانًا يحذف أحد ركني الجملة، ويجوز تقدير الثاني. وتصلح (إذا) الفجائية أن تكون جواب الشرط .

7 – رجّح البحث مذهب العلماء في أنّ "حتى" حرفٌ يفيد انتهاء الغاية، سواءً أكانت حرفَ ابتداء أم حرف جر.

8 – إن تركيب "حتى إذا" أفاد انتهاء غاية فعل الشرط (جملة الشرط) بوقوع جواب الشرط (جملة الجواب)، وبهذا يكون التركيب بـ "حتى إذا" قد أتى بزيادة معنًى إلى معنى جملة الشرط، وذلك في حالتَي كون "حتى" حرف ابتداء أو حرف جر .

9 – اللافت لنظر باحثي اللغة – بخاصة النحو – سيطرت نظرية العامل، والأثر الإعرابي على علماء النحو، وهم يبحثون تركيب (حتى إذا) – مثل جل بحوثهم النحوية –. وكانت غايتهم إجراء ما قَعَّدوه – ولا سيما في الأدوات النحوية – ممّا قد يسلبُ النَّصَّ جمالَه وذائقته الأدبية والأسلوبية، أو قد يُثقلُه بالتقديراتِ لمحذُوفاتٍ لا ضرورة لها؛ لأنّ المعنى معلوم ومفهوم من دون تلك التقديرات. وقد تَجَلَّى ذلك واضحًا عند تحليلهم قوله تعالى: ﴿ولقد صَدَقَكُم اللهُ وعدَه إذ تُحِسُّونهم بإذنه حتى إذا فشلتُم وتنازعتُم في الأمر وعَصَيتُم مِن بعدِ ما أراكم ما تُحِبُّون منكُم مَن يُريد الدُّنيا ومِنكم مَن يُريدُ الآخرة﴾ [آل عمران:152] . والذي بيَّنا فيه أنّ معنى تركيب (حتى إذا): انتهاء حينونة فشلهم ببلوغ حدث انقسامهم على فريقين – فريق يريدُ الدنيا، وفريق يُرِيدُ الآخرة . وكذا الامر في آية: 118 من سورة التوبة. وآية: 97 من سورة الأنبياء، وآية 73 من سورة الزمر .أما الآية: 6 من سورة النساء فظهر لنا جواب (حتى إذا) هو جملة ﴿فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾، وهذا الجواب – أيضًا – سَدّ مسدَّ جواب الشرط الثاني : ﴿فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ .

10 –جاءت "ما" بعد تركيب (حتى إذا) في قوله جلّت قدرته: ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [فصلت:20]،فأفادت "ما" معنى توكيد ما اتصلت به في النسبة التي تعلقت به، وهنا أكدت ظرفية الوقت المحدَّدِ للشهادة .

11 – تبيّن في البحث أنّ تركيب (حتى إذا) يفيد معنى: (فلمّا)، ويقوم مقام (فلمّا)، ويؤدي دلالتهما.

اللهم لك الشكر على ما أنعمتَ علينا في توفيقنا لخدمة لغة كتابك الكريم، ولما وفّقتنا إليه من نتائج، نحسب أنّ فيها جديدًا في التحليل، ونفعًا للمتلقين المُتدبّرين لآي القرآن الكريم . فإن أصبنا فهذا من عندك، وإن كانت الثانية فمن أنفسنا المُقرّة بالنقص، المؤمنة بأن الكمال لله وحده .

الهوامش:

[1]إنباه الرواة على أنباه النحاة – القفطي (ت ع 624 هـ) –6/4.

[2]إنباه الرواة على أنباه النحاة – القفطي (ت ع 624 هـ) –6/4.

[3] ينظر: المقتضب54/2–55. وشرح الرضي على الكافية185/3. وشرح المفصل46/5. والاتقان149/1.ومعاني النحو450/4–451.

[4] البرهان في علوم القرآن362/2.

[5] الكتاب232/4.وينظر: المقتضب56.54/2.

[6] ديوانه: 38 .

[7] ديوانه: 38.

[8] ديوانه: 34.

[9] ديوانه: 48.

[10] ديوانه: 73.

[11] ديوانه: 53.

[12] ديوانه :47.

[13] ديوانه:147 .

[14] لأنّه يمكن حمل "إذا" – هنا – على الظرفية المحضة، بمعنى : وقت ، أو : حين .

[15] ينظر: الكتاب232/4. وشرح الرضيّ191/3. ومغني اللبيب127/1.

[16] ديوانه:212.

[17] ديوانه:147.

[18] غير أنّه نُقِل عن الكوفيين الجزمُ بها مطلقًا– خلافًا للبصريين– ينظر: الجني الداني/360.

[19]الكتاب3/ 60–62. و 134/1 .وينظر: المقتضب56.55/2.

[20]الكتاب 64/3.

[21] الكتاب 119/3.

[22] الكتاب95/1. وينظر: المقتضب54/2.

[23] قصد جواز أن تقع (إذا) – لا سيما الفجائية – جواب (إذا) الظرفية المضمنة معنى الشرط .

[24] ديوانه:41 .

[25] ديوانه: 50.

[26] ديوانه:36.

[27] ديوانه:33.

[28] الكتاب233/4.

[29] ينظر: الجنى الداني:364.

[30] مغني اللبيب120/1–123.

[31] معاني النحو456/4 .

[32] الجنى الداني: 212 ،و363 .

[33] ينظر : معاني القرآن – الفراء238/1. وإملاء ما منّ به الرحمن151/2. وإعراب القرآن الكريم وبيانه391/10.

[34] دراسات لأسلوب القرآن الكريم ق1، ج178/1- 179.

[35] الكتاب232/4. وينظر: المقتضب56،54/2. والجنى الداني362-363.

[36] ينظر : مغني اللبيب130/1.وينظر: مصادر المحقق .

[37] ينظر : إملاء ما منّ به الرحمن76/1. والبحر المحيط418/2 . ودراسات لأسلوب القرآن الكريم ق1، ج165/1.وإعراب القرآن الكريم وبيانه485/1.

[38] ينظر : إملاء ما منّ به الرحمن144/2. وإعراب القرآن الكريم وبيانه213/10.

[39] الجنى /363،362.وينظر: مغني اللبيب129/1-130.

[40] الكتاب233/4 . وينظر: المقتضب57،56/2.

[41] الجنى الداني/364-367.وينظر: مغني اللبيب120/1-127.

[42] الكتاب95/1.

[43] الكتاب 1/ 97.

[44] ينظر: مغني اللبيب166/1، وما بعدها. والجنى الداني:498 ، وما بعدها .

[45] الكتاب231/4.وينظر:المقتضب37/2.وشرح الرضي على الكافية272/4-273.وشرح ابن عقيل 15/3.والمعجم المفصل في اللغة والأدب562،561/1.

[46] الجنى الداني/498-500 .وينظر: شرح ابن عقيل 15/3.والمعجم المفصل في اللغة والأدب562،561/1.

[47] مغني اللبيب168/1.

[48] ديوانه:41.

[49] ينظر: مغني اللبيب169/1-170.

[50]ديوانه:175.

[51]ديوانه:175.

[52] ينظر: مغني اللبيب169/1-170.

[53] المَواطِن الأُخر هي في سور: المؤمنون :25،و54. وفي الصافات :174،و:178. وفي الذاريات :43 .

[54] المَواطن الأُخر هي في السور : الأعراف:24. ويونس:98. والنحل :80. والأنبياء :111. ويس : 44. والصافات:148. وجاء ظرف الزمان (حين) مجرورًا بـ (على) في موطن واحد هو قوله عزّ ذِكرُه : ﴿ودخلَ المدينةَ على حينِ غفلةٍ من أهلها﴾ [القصص:15] .

[55] جامع البيان211/7.

[56] التبيان في تفسير القرآن137/6.وينظر: الكشاف538/1.

[57] ينظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه105/1.

[58] قصد "نافع".

[59] نلحظ مذهب الفراء الكوفي ، فهو يقول : نُصب الفعل بـ(حتى) ؛ لأنّ الكوفيين يذهبون إلى إعمال (حتى) بنصبَ المضارع بنفسها، لا بـ(أنْ) مضمرة وجوبًا بعدها، كما يذهب إلى ذلك البصريون.

[60] معاني القرآن132/1 . 134. وينظر: معاني القرآن وإعرابه246،245/1.وتهذيب اللغة200/5. والكشاف117/1. وشرح الرضي على الكافية52/4-53 . ولسان العرب321/2.وشرح ابن عقيل 9/4. وحاشية الصبان301،297/3. ومعاني النحو35،33/3.والمعجم المفصل في اللغة والأدب562/1-563.

[61] الكتاب1/96 . وينظر: المقتضب2/38.وشرح الرضي على الكافية4/273-278.وشرح ابن عقيل3/188. وحاشية الصبان3/98.97. ومعاني النحو 3/237 . 239 .والمعجم المفصل في اللغة والأدب1/562.

[62] الكتاب1/97.

[63] الكتاب3/23.و1/96-97 ،و2/383 .

[64] الكتاب 4/231 .

[65] شرح ابن عقيل3/188 .

[66] بقية المواضِع التي ورد فيها الفعل الماضي بعد (حتى) ، هي في السور : الأنعام :148. الأعراف: 95. والتوبة:48. ويونس:93. والأنبياء:15، و44.والمؤمنون:110. والفرقان:18. ويس:39. وص:32.
والزخرف:29.والحديد:14.والمدثر:46-47.والتكاثر:1-2. ينظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم 2/128-130.

[67] ينظر: التبيان في تفسير القرآن3/19.

[68]حماسة ابن الشجري/206.

[69]ديوانه:52 .

[70] ديوانه :61-62.

[71] مرّ الاستشهاد به في مبحث (إذا) ،وينظر : الكتاب 3/60.

[72] ينظر : دراسات لأسلوب القرآن الكريم ق1/ج 2/130.

[73] معاني القرآن1/238.

[74] التبيان في تفسير القرآن3/19.

[75] التفسير الكبير9/31-32.

[76] إملاء ما مَنّ به الرحمن1/90. وينظر: روح المعاني3/413.

[77] ينظر: المحرر الوجيز3/370-371. والبحر المحيط3/79. وإعراب القرآن الكريم وبيانه2/73.

[78] مفاتيح الغيب16/190. وينظر : البحر المحيط5/110.

[79] البحر المحيط5/110.

[80] روح المعاني11/57.

[81] معاني القرآن1/238. وينظر: البحر المحيط6/339.

[82] إعراب القرآن3/66. وينظر: البحر المحيط6/339.

[83] الكشاف2/741. وينظر: وينظر: البحر المحيط6/339. وإعراب القرآن الكريم وبيانه6/.

[84] إعراب القرآن4/67.

[85] الكشاف3/1063. وينظر: البحر المحيط7/443.

[86] النظام القرآني:49-50.

[87] الكشاف1/217. وينظر: إملاء ما منّ به الرحمن1/94. والبحر المحيط3/171.

[88] الكشاف3/1087. وينظر: البحر المحيط7/492.

[89] البحر المحيط7/492.

[90] قصد بأن جملة ﴿شَهِد﴾ لا محل لها؛ لأنّها جواب شرط "إذا" غير الجازمة .

[91] إعراب القرآن الكريم وبيانه8/546-547.

المصادر و المراجع

القرآن الكريم

ـ إعراب القرآن – أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت338هـ) – ط1 – دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان 1430هـ – 2009م.

ـ إعراب القرآن الكريم وبيانه – محيي الدين الدرويش – ط3 – دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان 1412هـ – 1992م.

ـ إملاء ما مَنّ به مِن وجوه الإعراب والقرآات في جميع القرآن – مُحِبّ الدين أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت616هـ) – ط1 – المطبعة الميمنية – مصر 1321هـ .

ـ إنباه الرواة على أنباه النحاة – جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت624هـ) – تحـ. محمد أبو الفضل إبراهيم – مطبعة دار الكتاب – القاهرة1973م.

ـ البحر المحيط – أثير الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي الشهير بـ (أبي حيان) – ط2 – دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان 1411هـ –1990م.

ـ البرهان في علوم القرآن – بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت794هـ) – تحـ. محمد أبو الفضل إبراهيم – ط2 – المكتبة العصرية – بيروت – لبنان 1427هـ – 2006م.

ـ التبيان في تفسير القرآن – محمد بن الحسن الطوسي (ت460هـ) – تحـ.أحمد حبيب قصير العاملي – ط1 – مطبعة سليمان زادة – ذوو القربَى – إيران – قم 1431هـ .

ـ التفسير الكبير (أو: مفاتيح الغيب) – فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن بن علي التميمي البكري الرازي الشافعي (ت 604هـ) – تحـ. عماد زكي البارودي – المكتبة التوفيقية – القاهرة (د.ت).

ـ تهذيب اللغة – أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت 370هـ) . تحـ.عبد السلام هارون – القاهرة 1396هـ – 1976م.

ـ جامع البيان في تأويل القرآن – أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت310هـ) . ط3 – منشورات محمد علي بيضون – دار الكتب العلمية – بيروت– لبنان 1420هـ – 1999م.

ـ الجنى الداني في حروف المعاني . حسن بن قاسم المراد (ت749هـ) – تحـ. طه محسن . ط 1 – طبع بمطابع جامعة الموصل – مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر 1396هـ – 1975.

ـ حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك – – طباعة ونشر دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه (د.ت) .
– حماسة ابن الشجري (الحماسة الشجرية) – الشريف أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة العلوي الشجري (ت542هـ) – تحـ. عبد المعين الملوحي، وأسماء الحمصي – ط1 – منشورات وزارة الثقافة – دمشق 1970م.
– دراسات لأسلوب القرآن الكريم – الدكتور محمد عبد الخالق عضيمة – دار الحديث –القاهرة 1425هـ – 2004م.
– ديوان امرئ القيس – ضبطه وصححه مصطفى عبد الشافي – ط5 – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان 1425هـ – 2004م .
– ديوان ذي الرّمّة – غيلان بن عقبة التميمي – تحـ. مجيد طراد – ط2 – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان 1416هـ – 1996م.
ـ ديوانا عروة بن الورد والسموأل بن عاديا – ط1 – دار بيروت للطباعة والنشر – بيروت – لبنان 1402هـ – 1982م.
ـ ديوان الشنفرى عمرو بن مالك – تحـ. الدكتور إميل بديع يعقوب – ط1 – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان 1437هـ – 2016م.
– ديوان عروة بن الورد – دراسة وشرح وتحقيق أسماء أبو بكر محمد – ط1 – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان 1418هـ – 1998م.
ـ ديوان لقيط بن يعمر الإيادي – تحـ. الدكتور محمد التونجي – دار صادر – بيروت – لبنان 1998م.
– ديوان النابغة الذبياني – تحـ. كرم البستاني – ط1 – دار صادر – بيروت – لبنان 1383هـ – 1963م.
ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – أبو الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي (ت1270هـ) – تحـ. محمد أحمد الأمد، وعمرعبد السلام السلامي – ط1 – دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان 1420هـ – 1999م.
ـ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك . بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري (ت 769هـ) . تحـ. محمد محيي الدين عبد الحميد . طباعة دار الطلائع . القاهرة (د.ت) .
ـ شرح ديوان الأعشَى – تحـ. كامل سليمان – ط1 – دار الكتاب اللبناني – بيروت – لبنان (د.ت) .
ـ شرح الرضي على كافية ابن الحاجب (ت646هـ) – رضي الدين محمد بن الحسن (ت688هـ) – تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر – منشورات مؤسسة الصادق – طهران 1398هـ – 1978م .

ـ شعر الراعي النميري – دراسة وتحقيق دكتور نوري حمودي القيسي ، وهلال ناجي – مطبعة المجمع العلمي العراقي – بغداد 1400هـ – 1980م.
ـ شعر المقنع الكندي – تحـ. أ. د. أحمد سامي زكي منصور – حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية – حولية : 32 – (رسالة 341) – الكويت 1432هـ – 2011م.
– الفهرست – ابن النديم (ت 385هـ) – دار المعرفة – بيروت –1398هـ – 1978م.
ـ الكتاب – أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (سيبويه) (ت180 هـ) – تحـ. عبد السلام محمد هارون – ط1 – دار الجيل – بيروت – لبنان (د.ت) .
ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل – أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت538) – مصورة عن نسخة مصصحة للدكتور عبد الرزاق المهدي – ط1– دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان 1424هـ – 2003م.
ـ كشف المشكل في النحو – علي بن سليمان الحيدرة اليمني (ت599هـ) . تحـ. د. هادي عطية مطر . ط1 – مطبعة الإرشاد – بغداد 1404هـ – 1984م.
ـ لسان العرب – ابن منظور (ت711هـ) – ط 1. مراجعة نخبة من الأساتذة المتخصصين – دار الحديث – القاهرة – 1422هـ – 2003م .
ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز – أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي (ت541هـ) – تحـ. عبد الله إبراهيم الأنصاري، وعبد العال إبراهيم، ومحمد الشافعي صادق العنائي – ط1 – الدوحة 1403هـ – 1983م .
ـ معاني القرآن . أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت207هـ) . ط2 . عالم الكتب – بيروت – لبنان 1980م.
ـ معاني القرآن وإعرابه – أبو اسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (ت 311هـ) – تحـ. الدكتور عبد الجليل شلبي – دار الحديث – القاهرة 1424هـ – 2004م.
– معاني النحو . الدكتور فاضل صالح السامرائي – ط 1. جامعة بغداد 1990.
ـ المعجم المفصل في اللغة والأدب – الدكتور ميشال عاصي ، والدكتور إميل بديع يعقوب – ط1 – دار العلم للملايين – بيروت – لبنان 1987م.
ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – محمد فؤاد عبد الباقي – مكتبة المظفر الثقافية – 1364هـ – 1945م.
ـ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب . جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت761هـ) تحـ. د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله . ط5 . مؤسسة الصادق – طهران 1378هـ .
ـ المقتضب – أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت285هـ) – تحـ. محمد عبد الخالق عظيمة – ط2 – لجنة إحياء التراث الإسلامي في وزارة الأوقاف – جمهورية مصر العربية – القاهرة 1415هـ – 1994م.
ـ النظام القرآني (مقدمة في المنهج اللفظي) – عالم سبيط النيلي – ط1 – قم – منشورات ذوي القربى – 1427هـ .